مكتبة البنين
قسم الدوريات

غير مصرح باعارته من المكتبة

حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد الخامس

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

حول دلالات الإيمان في القرآن الكريم

الدكتور
محيي الدين بلتاجي
الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث

يقتضي البحث في الايمان بداية الوقوف على معنى اللفظة في اللغة قبل الانتقال إلى أية دلالة أخرى لها شرعية أو عرفية ، ذلك أن الأصل في معرفة دلالة اللفظ ترتبط باللغة المستخدم فيها قبل ارتباطها بأي شيء آخر ، وعليه فإن دلالات الايمان تخضع لهذا الترتيب ، أي تناول الوضعية الأولى للفظ في اللغة ، ثم الانتقال إلى التطور الدلالي الذي لحقها ورده إلى الاستعمال الذي أدى إلى هذا التطور سواء كان عرفياً أو شرعياً .

والايمان في اللغة هو التصديق وضده التكذيب ، وهو مشتق من « الأمن » الذي هو ضد الخوف ، وقد يتغير معناه في أصل اللغة فهو عند اللحياني[1] الثقة ، كما يكون بمعنى (الاجارة) كما في قول الحق تبارك وتعالى : « إنهم لا إيمان لهم »[2] فمن قرأه بكسر الألف فمعناه : إن أجاروا وأمّنوا المسلمين لم يفوا وغدروا ، وآمن بالشيء صدق وآمن ، وقال

الجوهري في الصحاح[٣] أصل آمن « أأمن » بهمزتين لينت الثانية .

وقد حد الزجاج الايمان[٤] فقال : الايمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاده وتصديقه بالقلب ، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك ، وهو الذي يرى أن آداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب .

وهذا معنى الايمان الشرعي وحده ، وهويتقارب مع المعنى اللغوي في دلالته بل يكاد يجامعه في تلك الدلالة ، وانظر إلى قول الحق تبارك وتعالى : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »[٥] أي بمصدق لنا ، فالمؤمن هو المصدق ، والايمان مصدر من آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن .

ويجمع أهل اللغة والمفسرون على أن الايمان هو التصديق ، يقول الحق تبارك وتعالى « قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » وهذا موضع يحتاج إلى بيان ، أين ينفصل المؤمن عن المسلم وأين يستويان ؟ والاسلام هو إظهار القبول والخضوع لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه حقن الدم لقوله عليه الصلاة والسلام : كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[٧] ، فإن كان مع ذلك اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم ، لأن المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك الذي يرى ان الفرائض واجب عليه ، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب فهو المؤمن والمسلم حقاً لقوله تبارك وتعالى :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون »[٨] .

فأما من اظهر قبول الشريعة ، واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق فذلك الذي يقول : اسلمت ، لأن الايمان لابد من ان يكون صاحبه تصديقاً ، لأن قولك آمنت بالله فمعناه صدقت ، فأخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال : « ولما يدخل الإيمان

في قلوبكم » أي لم تصدقوا إنما اسلمتم تعوذاً من القتل ، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر ، والمسلم التام الاسلام مظهر للطاعة مؤمن بها ، فكأن تمام الاسلام يستدعى وجود الإيمان ، والتصديق القلبي مع الاظهار ، والمسلم الذي اظهر الاسلام تعوذاً غير مؤمن في الحقيقية إلا أن حكمه فى الظاهر حكم المسلمين .

والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي أئتمنه الله عليها ، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد الأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق ، ومن زعم ان الايمان هو اظهار القول دون التصديق بالقلب فإنه لا يخلو من وجهين :

الأول : أن يكون منافقاً ينضح عن المنافقين تأييداً لهم .

الثاني : أن يكون جاهلاً لا يعلم ما يقول وما يقال له أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق وترك قبول الصواب .

وفي آية الحجرات : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله . . » ما يبين أن المؤمن هو المتضمن لهذه الصفة ، وأن من لم يتضمن هذه الصفة فليس بمؤمن لأن إنما في كلام العرب تجيء لتثبيت شيء ونفي ما خالفه[٩] .

والكفر ضد الإيمان ، وهو في اللغة ستر الشيء ، ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص ووصف به الزارع لستره البذرة في الأرض وليس ذلك باسم لهما ، والكافور اسم أكمام الزهرة التي تسترها ، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك آداء شكرها ، قال الحق تبارك وتعالى : « فلا كفران لسعيه »[١٠] ، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة .

وقد تستعمل لفظة « الايمان » اسماً للشريعة الاسلامية وعلى ذلك قوله جل وعلا : « الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى »[١١] ، ويوصف به كل من دخل في شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه مقراً بالله تعالى ونبوته ، قيل : وعلى هذا قوله تبارك وتعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »[١٢] .

ذلك أن العرب قبل الاسلام كانوا إذا سئلوا عن الله تعالى قالوا : هو ربنا وخالقنا ثم يشركون به الولد والأوثان ، وكانوا يلبون .

« لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك »[١٣] .

وتارة تستعمل لفظة « الايمان » على سبيل المدح ويراد بها إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : -

الأول : تحقيق القلب . **الثاني** : إقرار باللسان . **الثالث** : عمل بحسب ذلك بالجوارح وعلى هذا قول الحق تبارك وتعالى :

« والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون »[١٤] أي هم المبالغون في الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله تعالى ورسله[١٥] .

ويقال لكل واحد من : الاعتقاد ، والقول الصدق ، والعمل الصالح « إيمان » قال الحق تبارك وتعالى :

« وما كان الله ليضيع إيمانكم »[١٦] أي صلاتكم ، وجعل الحياء من الايمان لحديث سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الانصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال صلوات الله وسلامه عليه : دعه فإن الحياء من الايمان »[١٧] ، وإماطة الأذى من الإيمان لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[١٨] .

ويشترك الاعتقاد مع الإيمان في كونهما يفيدان التصديق ، كما أن الاعتقاد تستعمل بخاصة للدلالة على قبول العقائد الدينية ، وهو في هذه الحالة يفيد الاقتناع التام ، وقد تفيد الظن وحده الذي يقابل لفظه THinking . . في اللغة الانجليزية ، ولفظة الاعتقاد في الاستعمال الديني ترادف لفظة التصديق أي الاعتقاد الجازم في صدق الشيء ، وهي هنا تمتاز عن لفظة الإيمان ، لأن الايمان يشمل الإقرار والعمل .

ويذهب التفتازانى فى شرحه للعقائد النسفية إلى أن الاحكام الشرعية بعضها متعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية ، والبعض الآخر متعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية فالاعتقادات تستعمل غالباً بمعنى العقائد ، ولم يكن من السهل تحديد المعنى الدقيق لهذا اللفظ .[١٩]

وما ذهب إليه « ماكدونالد » من القول بصعوبة تحديد مدلول لفظ « الاعتقاد » فيه شيء غير قليل من التسمح ، ذلك أن الاعتقاد مشتق من العقد وهو جمع اطراف الشيء ، ومحله القلب وهو يفيد اليقين ، ويستعمل في المواد كما تقول عقد البناء ثم يستعار للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما ، ويقال : عاقدته وعقدته وتعاقدنا ، وعقدت يمينه . . ، ومنه قيل : لفلان عقيده[٢٠] ولا يصح الاعتقاد إلا بعلم جازم .

ويذهب صاحب المفردات إلى أن « الايمان » هو التصديق الذى معه أمن وهو يقصد بالأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، ولا يعترض على هذا بقوله تبارك وتعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت[٢١] لأن ذلك مذكور على سبيل الذم لهم ، وأنه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن ، إذ ليس من شأن القلب ـ ما لم يكن مطبوعاً عليه ـ أن يطمئن إلى الباطل وإنما ذلك مثل قوله جل وعلا : « من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم »[٢] .

وقد جعل النبي صلوات الله وسلامه عليه أصل الايمان في خبر جبريل عليه السلام في ستة أشياء[٢٣] حيث سأله : ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

ويرى كاتب مادة « إيمان » بدائرة المعارف الاسلامية ان المعنى الدينى للفظة الايمان ينقسم الى قسمين : ـ

الأول : بمعنى التصديق أو الاعتقاد فى الله تعالى ، والنبي صلوات الله وسلامه عليه ورسالته .

الثاني : بمعنى التصديق بما اشتملت عليه الرسالة .

وأول هذين المعنيين ينقسم اجمالاً - فيما برى أبو حامد الغزالى - إلى اربعة أقسام : ١ - اثبات ذات الله . ٢ - اثبات صفاته . ٣ - اثبات افعاله . ٤ - اثبات صدق الرسول[٢٤] ثم يستطرد كاتب المادة قائلاً : إن القرآن الكريم يفرق احيانا بين الايمان والاسلام وأحياناً اخرى لا يفرق بينهما ، وأن عبارته فى صلتهما بالعمل الصالح مبهمة[٢٥] والواقع أن التفريق بينهما في القرآن يحتاج إلى معرفة واسعة بدقائق اللغة .

ذلك ان الايمان يتألف من أمور ثلاثة هي فيما اجمع عليه الأئمة من أهل السنة اعتقاد بالقلب ، واقرار باللسان : وعمل يحسب ذلك بالجوارح ، وإذا كان الأمر كذلك فما الذى تقع عليه كلمة « الايمان » من هذه الامور ، وما الذي تقع عليه كلمة الأسلام منها ؟

فإذا أخذنا في الاعتبار الأصل اللغوي فإن الايمان يقع على الأمر الأول الاعتقادي ، والاسلام يقع على الأمرين الأخيرين من اقرار وعمل .

أما إذا تتبعنا دوران الكلمة في النص القرآني فإننا نجد ان الأمر لا يسير على هذا بل يختلف من موضع لآخر ، فتارة يراد بالايمان الاعتقاد الداخلي ، وتارة اخرى يراد به الدين كله ، فالايمان في قوله تبارك وتعالى .

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه »[٢٦] هو اعتقاد فقط ، اما في مثل قوله جل وعلا :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً »[٢٧] فإنه يجمع بين الاعتقاد والعمل بدليل أن ما بعد هذه الآية يصرح بذلك ويبسطه ؛ وان الاسلام في قوله تبارك وتعالي :

« قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا »[٢٨] فهو يدل للايمان الظاهرى فقط .

وقد يأتى لفظ « الاسلام » ويجمع بين الاعتقاد في الباطن والاقرار في الظاهر مثل قوله جل

شأنه « فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون »[٢٩] وقوله جل وعلا : « ومن يبتغ غير الاسلام دنيا فلن يقبل منه »[٣٠] .

ومن هذا يستفاد ان اللفظين اذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، وهذا يجرى فى كثير من الفاظ العربية التي تختلف معانيها بحسب الدلالة المطابقية ، ولكنها يكون بين معانيها ارتباط عقلي أو عرفي أو وضعي ، فإذا ذكرت مجتمعه فهم من كل واحد منها معناه الأصلي فقط دفعاً للتكرار وإذا ذكر بعضها كان ذكره بمفرده مغنياً عن ذكر الباقي حتى كأن كل واحد منها صار عنواناً على مجموع تلك المعاني .

أما أنهما إذا اجتمعا افترقا فمعناه أنهما إذا ذكرا لفظاً في سياق واحد كان لفظ الايمان باقياً على اصل اختصاصه بالاعتقاد ، والاسلام باقياً على أصل اختصاصه بالعمل ، سواء في هذا ان يكونا مثبتين أو منفيين ، أو احدهما مثبتاً والآخر منفياً[٣١] .

أما وقد تعرضنا لمعنى كلمة « الايمان » عند أهل اللغة واصحاب الموسوعات ، وللفروق الدقيقة التي تجمع بينها وبين لفظة الإسلام ، فقد آن لنا ان نتتبع دورانها في النصوص القرآنية بدلالاتها المختلفة خروجاً من التعميم إلى التخصيص ، فقد وردت هذه اللفظة في نصوص القرآن الكريم مجردة أو مسنده إلى مختلف الضمائر في نحو خمسة وأربعين موضعاً ، وخلال هذا التتبع سنجعل السبق في التناول للفظة « الايمان » مجردة من الاسناد ، ثم نتبع هذا بتفسير الآية المشتملة عليها للكشف عن دلالتها محددة بالسياق لمعرفة المراد بها في كل موضع ، لنخرج من هذا التساوق التفسيري بمدى النطاق الاستعمالي للفظه في نصوص القرآن الكريم .

وأول ما تطالعنا به الآى في هذا المقام ـ وفقاً للترتيب الذي ارتضيناه ـ هو قول الحق تبارك وتعالى :

« أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل »[٣٢] .

والآية - فيما قيل - نزلت فى أهل الكتاب حين سألوا النبي صلوات الله وسلامه عليه ان ينزل عليهم كتاباً من السماء ، أو في المشركين حين قالوا : « ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه »[٣٣] ، والمراد بتبدل الكفر بالايمان هنا : أن من ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها فقد ضل حتى وقع في الكفر بعد الايمان ، وكأن الايمان هو الثقة فيما جاء من الله تعالى والاطمئنان إليه[٣٤] ، وبعض المفسرين لا يعرض لتعيين دلالة الايمان في الآية ويقف عند لفظه «التبدل » مشيرا إلى أنها تعني الاعراض عن الايمان والاقبال على الكفر[٣٥] ، ومنهم من يرى انه كنى عن الايمان بالهدى وعن الكفر بالضلالة[٣٦]

وفيما ذهب اليه البيضاوي نجد ان الثقة فيما أنزل الله تعالى والاطمئنان إليه وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيه هو حد الايمان ، وهذا يدخل تحت حد علماء التوحيد له في الجانب الاعتقادي كما يرتبط بالدلالة التي سبق ان حددها الراغب له في مفرداته من أنه التصديق الذي يلابسه أمن واطمئنان إلى المصدق به .

كما يرد لفظ « الايمان » في قول الحق تبارك وتعالى : « وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان »[٣٧] .

والآية التي تسبق هذه الآية ترتيباً هي قول الحق جل وعلا : « وما اصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم الله المؤمنين . . » ، وهذا الذي تشير اليه الآيتان الكريمتان من الوقائع أنه ، كان يوم أحد ، فإن الذي أصاب المؤمنين من الجرح والقتل والهزيمة إنما حدث بعلم الله تعالى وقضائه وقدره ، وإن تخليته بين المسلمين والمشركين كان لأنه سبحانه أراد إظهار ايمان المؤمنين بثباتهم في القتال ، وإظهار صفات الكفر في المنافقين باظهارهم الشماتة وتخليهم عن القتال أو حتى الاقتصار على الدفاع أو تكثير سواد المسلمين ببقائهم معهم .

والذين نافقوا هم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذين انصرفوا معه عن نصرة

النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وقد مشى في إثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى وقال لهم : اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، فقال له ابن أبي : ما أرى أن يكون قتال ، لو علمنا أن يكون قتال لكنا معكم ، فلما يئس منهم عبد الله قال : اذهبوا يا اعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم ، ومضى مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى استشهد .

واقترابهم من الكفر يومذاك وبعدهم عن الايمان يعني أنهم بينوا بعملهم هذا - وهو التخلى عن الجهاد - حالهم وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظنهم مؤمنين فصاروا أقرب إلى الكفر فى ظاهر الحال وإن كانوا كافرين على التحقيق ، كما أبانوا عن نفاقهم لأنهم يقولون بالسنتهم غير ما يكنون في أنفسهم وهذا مدعاة وصفهم به أول الآية[٣٨] ، والايمان على هذا نقيض الكفر كما هو نقيض النفاق .

وقيل إن معنى أنهم أقرب إلى الكفر منهم إلى الايمان أن ذلك كان يوم قالوا : لو نعلم قتالاً في خروجكم لاتبعناكم ، ولكننا نرى أن الأمر ينتهى بغير قتال لظهور صفة الكفر فيهم وانطباق آياته عليهم آنذاك ، فإن القعود عن الجهاد في سبيل الله هو من الكفر ، لأن الجهاد عند هجوم الاعداء من الفرائض التي لا يتعمد المؤمن تركها ، وإن من نصوص الكتاب ما هو صريح في ذلك أي في جعل الجهاد من الايمان مثل قوله عز وجل : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون »[٣٩] .

ولفظة يومئذٍ في الآية ليست للاحتراس وإنما هي لرفع شأن ذلك اليوم الذي حصل فيه التمييز بين الفريقين ، وقد قال الله تعالى فيهم : « إنهم أقرب إلى الكفر » ولم يقل إنهم كفار مع علمه بحالهم تأديباً لهم ، ومنعاً من التهجم على التكفير ببعض صفاته ، يعني أن هذا الذي صدر منهم وإن كان من شأنه ألا يصدر إلا من الكافرين لا يعد - في ذاته - كفراً صريحاً في حكم الظاهر لاحتمال التأويل والعذر ، لأن امتناعهم عن الجهاد عمل من أعمال الكفر وليس الكفر بتمامه ، كما أن منهم من تاب بعد وصلح عمله[٤٠] .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه جعل الجهاد من الايمان ، فيصبح الامتناع عنه حال وجوده مما يضاده ، فعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، ابتلى الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الإيمان بي والتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر ، أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل »[٤١] .

ثم يأتى بعد هذا قول الله جل شأنه : « إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً »[٤٢] وهذه الآية تقع تكريراً للتأكيد وتعميما للكفر بعد تخصيص من نافق من المتخلفين عن القتال في « أحد » ، أو المرتدين من الاعراب إذ يسبقها قول الحق تبارك وتعالى : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم »[٤٣]

وبذلك تكون آية « إن الذين اشتروا الكفر بالايمان » وهم المنافقون الذين قعدوا عن الجهاد تعنى أنهم اختاروا الكفر ورضوا به بدلاً عن الإيمان ، وهذا الوصف في الواقع أعم من الأول ، كأنه أراد ان أولئك الكفار الذين تراهم يسارعون في نصرة الكفر وتعزيزه والدفاع دونه ومقاومه المؤمنين لأجله لا شأن لهم ، ولا يستحقون أن تهتم بأمرهم فإنهم يحاربون الله ويغالبونه والله تعالى غالب على أمره فلا يقدر أحد على مغالبته ، ثم لا ينبغى أن تحزن عليهم ايضاً لأنهم محرومون من رضوان الله ، فلما بين هذه كان مما يمكن أن يخطر على البال أنه حكم خاص بالذين يسارعون في الكفر ، فبين سبحانه في الآية الثانية أنه عام يشمل كل من آثر الكفر على الايمان فاستبدله به ، ففي إعادة العبارة بهذا الأسلوب فائدتان : **إحداهما** : أن فيها قسماً من الكافرين لم يذكروا في الآية الأولى فشملتهم الثانية ؛ **والثانية** : أن فيها مع تأكيد عدم إضرارهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بيان لحال من أحوالهم يدل على ضعف عقولهم إذ رضوا بالكفر واختاروه وحسبوه منفعة وفائدة وبهذا ينتهى الأمر إلى أن الكفر نقيض الايمان ، وأن الأول يفضى إلى الهلكة

باعتباره معاداة لله تعالى ، وأن الثاني يفضي إلى رضوان الله سبحانه باعتباره يقين محض ينصرف طريقه إلى طاعة المعبود .

ونقف عند لفظة « الإيمان » من قوله تبارك وتعالى : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار »[٤٥] .

والمنادي للإيمان هو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وذكر بوصف المنادي تفخيما لشأن هذا النداء ، ومعنى النداء هنا : صدقوا بربكم واشهدوا له بالوحدانية ، وذكر استجابتهم بالعطف بالفاء لبيان أنهم بعد الذكر والفكر والوصول منهما إلى النتيجة الحميدة لم يتلبثوا بالايمان الذى يدعوهم إليه الأنبياء كما تلبث قوم واستكبر آخرون ، بل بادروا وسارعوا إليه لأنهم - أي الأنبياء - إنما يدعونهم إلى ما اهتدوا إليه مع زيادة صالحة تزيدهم معرفة بالله تعالى وبصيرة في عالم الغيب والحياة الآخرة اللتين دلهم على ثبوتهما دلالة مجملة مبهمة ، والأنبياء يزيدونهم بما يوحيه الله إليهم بياناً وتفصيلا .

وعلى هذا يكون المراد انه كان في كل أمة ألو ألباب هذا شأنهم مع انبيائهم ، ويصح أن يكون المقصود « بالمنادى » نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه خاصة ، وسماع النداء يشمل من سمعه منه مباشرة في عصره ، ومن وصلت إليه دعوته من بعده ، ويحتمل أن يكون قولهم « آمنا » مراداً به إيمان جديد غير الايمان الذي استفادوه من التفكر والذكر وهو الايمان التفصيلى الذى ذكر قبل ، ويحتمل ان يكونوا سمعوا دعوة الرسول أولاً فآمنوا به ثم نظروا وتفكروا واهتدوا إلى ما اهتدوا إليه من الدلائل التي تدعم إيمانهم فذكروا النتيجة ثم اعترفوا بالوسيلة ، ولا ينافي ذلك تأخير هذه عن تلك في العبارة كما هو ظاهر[٤٦] ونخرج من هذا جميعه بأن الايمان هنا يراد به التصديق بالله ووحدانيته والاستجابة إلى الدين بعامه .

ونتابع لفظة « الايمان » فنجد أنها ذكرت في سورة المائدة مجردة في قول الحق تبارك

وتعالى « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنين والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إن آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين[٤٧] والمراد أن من يرتد عن الدين ويكفر بشرائع الإيمان فقد بطل عمله وهو من الهالكين[٤٨] . فالمقصود بالايمان في الآية هو الدين كله بشقيه الاعتقادي والعملي .

يلي هذا قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »[٤٩] .

والمراد لا يتخذ أحد منكم أحداً من أهله ولياً ينصره في القتال ، لأن الولاء كما هو معروف عندهم كان على النصرة ، أو يظاهر لاجله الكفار بأن يتخذه بطانه يفضي اليه بأسرار المسلمين العسكرية وبخاصة إذا فضلوا الكفر على الايمان وأصروا عليه[٥٠] والمقصود الايمان هنا هو الاسلام وهو بدوره نقيض الكفر ، ذلك ان هؤلاء المشركين لم تكن لهم مرتبة سابقة على الايمان حتى ينصرف معنى الايمان إلى التي تليها ، وإنما هم في شرك يخرج منه أولا إلى اسلام ثم يليه اعتقاد هو الايمان بحده المتفق عليه عند السلف العقد والقول والعمل .

يرد لفظ الايمان بعد هذا في قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم »[٥١] فإن من تلفظ بكلمة الكفر وارتد عن الدين بعدما دخل فيه إلا ان يكون مكرها وقلبه مملوء يقينا ، أما من طابت نفسه بالكفر وانشرح صدره له فإن له عذاب جهنم فالايمان فيما عبرت عنه الآية الكريمة هو تصديق يلابسه أمن وطمأنينة فيقر في النفس قرار اليقين .

ويجيء لفظ الايمان في قوله عز شأنه : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في

كتاب الله الى يوم البعث ولكنكم لا تعلمون »[٥٣] والعبارة في الآية فيها تقديم وتأخير والتقدير : وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والايمان من الملائكة والإنس لقد لبثتم في علم الله وقضائه وما كتبه لكم الى يوم البعث ، وليس كما تزعمون من أنكم ما لبثتم إلا ساعة ، ولكنكم لم تصدقوا لتفريطكم في طلب الحق واتباعه[٥٤] والايمان في الآية بمعنى اليقين .

يليه ما جاء من قوله سبحانه : « إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون »[٥٥] فإن الملائكة تنادي الكفار يوم القيامة على جهة التقريع : لبغض الله تعالى الشديد لكم في الدنيا أعظم من بغضكم اليوم لأنفسكم حين كنتم تدعون إلى الايمان فتكفرون كبراً وعتواً[٥٦] ، والإيمان هنا يراد به الاسلام بمعناه العام ويراد به أيضاً الإيمان بمعناه الخاص باعتبار أن الأمر في التوجيه الأول تقوم الدعوة فيه إلى الاسلام ، وهو كما سبق أن أشرنا يشمل الإيمان لأنه أعم منه وإن كان بينهما عموم وخصوص ، وباعتبار التوجيه الثانى تكون الدعوة فيه إلى الأمور الاعتقادية وحدها من الوجود والوحدانية وتصديق الرسل .

ثم يأتى بعد هذا قول الحق تبارك وتعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم »[٥٧] أي أنا قد أوحينا اليك هذا القرآن كما أوحينا إلى غيرك من الرسل ، وسمى القرآن هنا روحاً لأن فيه حياة النفوس التي أماتها الجهل قبل انزاله ، وما كنت تعرف قبل الوحي ما هو القرآن ، ولا كنت تعرف الشرائع الايمانية ومعالم الايمان على وجه التفصيل ، ولكن جعلنا هذا القرآن نوراً وضياء نهدى به عبادنا المتقين ، وإنك لترشد إلى دين قيم هو الاسلام[٥٨] والمراد بالايمان هنا هو شرائع الدين التفصيلية .

ويليه قول الحق تبارك وتعالى : « واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق

والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمه »[٥٩] .

إن بينكم رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم من اتباع الهوى ، لو اطاعكم في غالب ما تشيرون به عليه لوقعتم في الجهد والعنت ، ولكنه أعلم منكم بما يصلح أمركم ، وأشفق عليكم من أنفسكم فاطيعوه فيما يأمركم به ، ويبدو أن منهم من أشار عليه بالايقاع ببني المصطلق ، وأنه رحمة منه تعالى بكم رغب الايمان إلى قلوبكم وحسنه في افئدتكم ، وبغض اليكم الضلال من الكفر والخروج على طاعته وكبار الذنوب ، وذلك استدراك ببيان عذرهم وهو أنهم لفرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر هو الذى حملهم على ما اشاروا به ، ومن اتصف بهذه النعوت التى ذكر سبحانه هم المهتدون الى الطريق السوى « وفضلاً من الله ونعمه » تعليل لحبب أوكره ، ذلك ان التحبيب والرشد فضل من الله وإنعام[٦٠] والايمان هنا بمعنى شرائع الدين .

يأتي بعد هذا قوله جل وعلا : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون »[٦١] .

وهذا توجيه سلوكي فيه نداء للمؤمنين ، ألا يهزأ جماعة بجماعة ، فقد يكون المستهزىء به عند الله تعالى أفضل من المستهزىء ، فرب اشعث اغبر ذو طمرين لو اقسم على الله لأبره . ولا تسخر نساء من نساء فعسى ان تكون المحتقر منها عند الله افضل من الساخرة ، ولا يعب بعضكم بعضاً ـ فى تصرف أو خلق ـ ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء ، فبئس أن يسمى الإنسان فاسقاً بعد أن صار مؤمناً ، وفي الآية دلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ، ومن لم يتب منكم أيها المؤمنون عن اللمز والتنابز فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب[٦٢] والايمان هنا هو التصديق .

وترد لفظة الايمان في نفس السورة في قوله جل شأنه : « قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم »[٦٣] .

إن الاعراب زعمت أنهم آمنوا ؛ فقل لهم : إنكم لم تؤمنوا بعد ، لأن الايمان تصديق واطمئنان قلب ، وهذا لم يحصل لكم ، وإلا لما منتم على الرسول بالاسلام ، ولكن قولوا : اسلمنا خوف القتل والسبى ولفظ « لما » يفيد التوقع كأنه سبحانه يقول : سيحصل لكم الإيمان عند ملابستكم لمحاسن الاسلام وتذوقكم حلاوة اليقين ، والاعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا منافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الايمان في قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا اليه ، لأن الايمان أعلى مرتبة من الإسلام فأدبوا في ذلك ، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا ـ على عادة القرآن الكريم في خطاب أهل النفاق فإن اطعتم الله ورسوله بالاخلاص الصادق والايمان الكامل ، وعدم المن على الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينقصكم من أجوركم شيئاً إن الله عظيم المغفرة واسع الرحمة[٦٤] فالايمان هنا هو التصديق والاطمئنان .

ومما يرتبط بهذه الآية بسبب بل يداخلها في توجيه التأديب لهؤلاء الاعراب قول الله تبارك وتعالى : « يمنون عليك أن أسلموا ، قل : لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين »[٦٥] .

ذلك أنهم يعدون إسلامهم منة على الرسول تستوجب الحمد والثناء ، فقل لهم : لا تمنوا علىّ باسلامكم ، فإن نفع هذا عائد عليكم ، بل لله تعالى المنة الكبرى عليكم بالهداية إلى الإيمان والتثبت عليه إن كنتم صادقين في دعوى الاسلام[٦٦] والإيمان هنا بمعنى الاسلام .

أما قوله عز وجل : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »[٦٧] .

لن تجد جماعة يصدقون بالله واليوم الآخر يوالون من عادى الله ورسوله وخالف عن أمرهما لأن من أحب الله تعالى عادى أعداءه ، ولا يجتمع في قلب واحد حب الله وحب اعدائه كما لا يجتمع النور والظلمة ، والمراد عدم مصادقة ومحبة الكفره ولكنها جاءت بصورة الاخبار مبالغة في النهي والتحذير ، ولو كان هؤلاء المعادين لله ورسوله أقرب الناس إليهم ، فإن قضية الايمان بالله تقتضى معاداة اعدائه وقد بدأت بالآباء لأن طاعتهم واجبة ، ثم بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب ، ثم بالاخوان لأنه بهم التعاضد ثم بالعشيرة لانه بهم التناصر والتغلب على الأعداء ، وقيل أن « ولو كانوا آباءهم » نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر ، ونزلت « أو أبناءهم » في أبي بكر الصديق هم بقتل إبنه عبد الرحمن ونزلت « أو إخوانهم » في مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يومئذٍ ، ونزلت « أو عشيرتهم » في حمزة وعلى وعبيد بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبه ، أولئك أثبت الايمان فى قلوبهم فهى موقنة مخلصة ، وقواهم ونصرهم وسمى النصر روحاً لأن به يحيا أمرهم ، ويدخلهم في الآخرة جنات تجري بين يدي قصورها الأنهار رضوان الله عليهم بما أنعم عليهم من إدخالهم الجنة ، وهم جماعة الله وانصاره وخاصته الفائزون بخيرى الدارين[٦٨] والإيمان هنا بمعنى التصديق .

كما يرد لفظ الايمان فى قوله جل شأنه : « والذين تبوأوا الدار والايمان يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[٦٩] .

وهم الذين اتخذوا المدينة سكناً ومنزلاً قبل كثير من المهاجرين وهم الأنصار ، أي تبوأوا الدار واعتقدوا الإيمان واخلصوه ، وليس المراد أنهم آمنوا قبل المهاجرين بل أراد آمنوا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم[٧٠] يحبون إخوانهم المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ، وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين منازلهم وأشركوهم في أموالهم[٧١] ولا يجد الانصار

حزازة أو حسداً مما أعطى المهاجرون من الغنيمة دونهم ، فقد قسم صلوات الله وسلامه عليه أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئاً إلا ثلاثة منهم فطابت نفس الانصار بتلك القسمة .

فهم يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة إليه ، فإيثارهم ليس عن غنى عن المال ولكنه عن حاجة وفقر وذلك غاية الايثار ، ومن سلم من البخل فقد أفلح ، وتبوأ الايمان يقصد به تمكن الدين من نفوسهم واطمئناها إليه ؛ وهو هنا بمعنى الدين .

اما قوله تبارك وتعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا إنك رءوف رحيم »[٧٢] ، أي أن من جاء بعدهم - وهم التابعون لهم باحسان - يطلبون المغفرة من الله تعالى لهم ولمن سبقهم إلى الإيمان بالله ورسله وقد وصفوهم بالسبق بالايمان اعترافاً بفضلهم لأن اخوة الدين أعز وأشرف من أخوة النسب[٧٣] ولا تجعل في قلوبنا بغضاً لأحد من المؤمنين إنك بالغ الرأفة واسع الرحمة فاستجب لدعائنا ، وما أحسن ما استنبط الإمام مالك - رحمة الله - من هذه الآية : أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له في مال الغنيمة شيء لعدم اتصافه بأوصاف المؤمنين[٧٤] فقد أمر الله تعالى أن من شأن من جاء بعد المهاجرين والانصار أن يذكر السابقين بالرحمة والدعاء ، فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فهو خارج عن جملة أقسام المؤمنين بهذه الآيات . .[٧٥] والايمان هنا بمعنى الدين .

يليه ما جاء في قوله جل شأنه : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين »[٧٦] .

إن من آمنوا وشاركهم أولادهم في الايمان الحقنا هؤلاء الأبناء بآبائهم لتقربهم أعينهم وإن لم يبلغوا مرتبتهم في العمل وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه حيث قال : إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقربها عينه[٧٧] .

وقيل يجمع الله تعالى لأهل الجنة أنواع السرور بسعادتهم أنفسهم ، وبمزاوجة الحور العين ، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين ، وباجتماع نسلهم وأولادهم بهم[٧٨] ومع هذا لا ينقص الآباء من عملهم شيئاً ، فيلحق المقصر من الأبناء بالمحسن من الآباء ولا ينقص المحسن من أجره شيئاً[٧٩] ثم إن كل إنسان مسئول عن عمله لا يحمل عليه ذنب غيره سواء كان أباً أو ابناً ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه : ارتهن أهل جهنم باعمالهم ، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم[٨٠] والايمان هنا بمعنى الإحسان .

من خلال هذا التتبع لدوران لفظة « الايمان » مجردة من الاسناد فى النص القرآنى نجد أن معناها ينصرف إلى كثير من الدلالات ، فيكون بمعنى الثقة فيما أنزل من عند الله تعالى والاطمئنان اليه وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ، وهذا يماثل الحد الشرعى « للايمان » أو قل بعضه فيما ذهب اليه الشرعيون ، ثم الجمع بين التصديق والأمن أو الذى يلابسه أمن فيما عرفه به اصحاب اللغة[٨١] .

وقد ينصرف المعنى الى ما هو نقيض الكفر والنفاق[٨٢] أو يكون بمعنى الاستجابة للاسلام[٨٣] وقد يدل على الدين جملة[٨٤] أو يأتى بمعنى اليقين الذي لا يعتريه شك[٨٥] أو يدل على شرائع الدين التفصيلية[٨٦] أو إلى الاسلام بمعناه العام[٨٧] وقد يكون بمعنى التصديق وحسب[٨٨] أو يراد به الدين[٨٩] أو يكون بمعنى الاحسان واتيان صالح الأعمال[٩٠] .

من هذا يتضح أن دلالة اللفظة اختلفت تبعاً للسياق ، وأنه هو الذي يحدد دلالتها فى النص وهذا مايحكم المعنى عند المفسرين فلا حد يتوقفون عنده كما هو الأمر عند علماء الشرع وهم يقننون لدلالة الألفاظ الشرعية ، ولا تعريف يحكم هذه الدلالة كصنيع اصحاب اللغة وهم يتواضعوا على معنى جامع للفظ ، وإنما المفسر رهين السياق مقيد به وهو يحدد المراد باللفظ في إطار عبارة النص ، ومن هنا تجد أن لفظة الايمان قد تعاورتها معان عدة وهى تدور مع النصوص التي وردت فيها .

نتابع بعد هذا مجموعة الآيات التي تصرح بزيادة « الإيمان » ذلك أنها تثير قضية هامة شغلت القدماء والمحدثين على سواء ، ومدار البحث في هذا الموضوع شمل عدة تساؤلات تدور في جملتها حول: هل يزيد الايمان ؟ وما هي موجدات هذه الزيادة ؟ وإذا كان الإيمان قابلا للزيادة فهل هو قابل للنقصان ؟

وهى أسئلة من الخطورة بمكان ذلك أنها تتعلق بالاعتقاد ، والاعتقاد في الشرائع السماوية أخطر من الجانب التشريعى فيها لأنه يمثل ركيزة الدين الأولى ويحدد العلاقة بين الخالق والمخلوق .

ومما ورد في النص يشير الى هذه الزيادة في الايمان قول الحق تبارك وتعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل »[٩١] .

فقد ارجف أنصار المشركين بأن قريشاً قد جمعت لحرب المسلمين من الجنود ما لا يحصى لاخافتهم فما زادهم هذا التخويف إلا إيماناً بنصر الله تعالى ، وقالوا : انه سبحانه كافينا وحافظنا وهو نعم الملجأ والنصير لمن توكل عليه .

ومنه قوله جل شأنه : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون »[٣٢] ذلك أن كاملى الايمان إذ ذكر اسم الله تعالى فزعت قلوبهم لمجرد ذكره استعظاماً لشأنه وتهيباً منه جل وعلا ، وإذا تليت عليهم آيات القرآن ازداد تصديقهم ويقينهم بالله لا يرجون غيره ، ولا يرهبون سواه ، وقيل : أخبر عنهم باسم الموصول بثلاثة مقامات عظيمة هى : مقام الخوف ، ومقام الزيادة في الايمان ، ومقام التوكل على الرحمن[٩٣] .

ومن ذلك أيضاً قوله جل وعلا : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول : أيكم زادته هذه إيمانا ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون »[٩٤] ، فإنه عندما كانت تتنزل سوره كان فريق من المنافقين يقول استهزاء : « إيكم زادته هذه إيمانا » ؟ على وجه الاستخفاف

بالقرآن ، كأنهم يقولوا أي عجب في هذا ؟ وأي دليل في هذا ؟ فأما المؤمنون فزادتهم تصديقاً وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة من القرآن ، وهم يفرحون لنزولها لأنه كلما نزل شيء من القرآن ازدادوا ايمانا .

ومنه قوله عز وجل : « ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً »[٩٥] ان المؤمنين حين رأوا الكفار قادمون لقتالهم وقد احاطوا بهم قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء ثم النصر ، وصدق الله فى وعده ورسوله فيما بشرنا به ، وما زادهم ما رأوه من كثرة جند الأحزاب ومن شدة الحصار إلا تصديقاً بوعد الله ونصره .

ومنه قوله تبارك وتعالى : « هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيماً »[٩٦] هو الذي جعل الطمأنينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة في القلوب ، ولله كل جنود السموات والأرض من الملائكة والجن والصواعق والزلازل والخسف وغيرها ، وهى جنود لا تحصى ولا تغلب[٩٧] وهو عليم بأحوال خلقه حكيم في تدبيره وتقديره .

ومنه قوله جل وعلا : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليتيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر »[٩٨] وما جعلنا خزنة جهنم إلا من الملائكة الغلاظ ، ولم نجعلهم من البشر حتى يصارعوهم ويغالبوهم ، ولم نجعل هذا العدد إلا سبباً لفتنة المشركين حيث استقلوا بعددهم واستهزأوا حتى قال أبو جهل أفيعجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار[٩٩] ، وقيل : إنما جعل الله الخبر عن عدة خزنه جهنم فتنة للكافرين لتكذيبهم بذلك وقول بعضهم لأصحابه على سبيل الاستهزاء أنا اكفيكموهم[١٠٠] ليتيقن أهل الكتاب من صدق محمد صلوات الله وسلامه عليه وأن هذا القرآن من عند الله تعالى ، إذ يجدون مثل هذا

العدد في كتبهم المنزله ، ويزداد المؤمنون تصديقاً لله ورسوله بما يشهدون من صدق اخبار نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، وتسليم أهل الكتاب لما جاء في القرآن موافقاً للتوراه والانجيل ، ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عددهم ، وهذا تأكيد لما قبله لأنه لما ذكر اليقين نفى عنهم الشك الذي هو نقيضه وكان قوله تعالى « ولا يرتاب » مبالغة وتأكيداً[١٠١] وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق والكافرون من أهل مكة : أي شيء أراد الله بهذا القول العجيب الذي هو مثل في الغرابة ؟ ولماذا يخوفنا بسقر وخزنتها التسعة عشر قيل : إن إثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي حصول الارتياب بعد ذلك ، فالمقصود من إعادة هذا الكلام هو أنه حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل عقيبه البتة شك ولا ريب ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من حال قريش أنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه لذلك بين تعالى الغاية من ذكر هذا العدد بأوضح بيان[١٠٢] .

ومعنى يضل به أي مثل ما أضل أبا جهل وأصحابه ، فإنه سبحانه يضل عن الهداية والايمان من أراد إضلاله ، ويهدي من أراد هدايته ، ولعلماء التوحيد رأي في هذا مؤداه أن ليس معنى إضلال الله تعالى لفريق من الناس وهدايته لفريق آخر أنه تعالى يجبر كلا منهم على الضلالة والهدى ، ولا أنه تعالى يكرههم على سلوك سبيل الخير أو الشر ، كلا فإن هذا الاكراه منافٍ للعدل الإلهي ، بل منافٍ لحكمة التشريع السماوي ، ولا يتفق مع نصوص الشريعة المتواترة القاطعة الدالة على أن العبد له إرادة واختيار هما مناط التكليف والمؤاخذة .

وكذلك فهم الصحابة والسلف الصالح ، سأل رجل علياً رضي الله عنه فقال : أكان الله سيرك إلى الشام - أي لقتال أهله - بقضائه وقدره ؟ فقال له : ويحك ! لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »[١٠٣] .

وعلى ضوء هذا يفهم معنى الهداية والإضلال ، وله الحكمة البالغة والحجة الدافعة

وما علم عدد الملائكة ، ومقدار قوتهم ، وضخامة خلقهم إلا رب العالمين ، وفي الآية رد على أبي جهل حين قال : أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر ؟ وما النار التي وصفها لكم الله تعالى إلا موعظة وتذكرة للخلق .

وما دمنا قد تعرضنا لهذه الآيات فلابد لنا من وقفة مع قضية ازدياد الإيمان ونقصانه تلك التي اشرنا اليها مطلع تتبع دوران هذا المعنى في النص القرآني ، فالايمان فيما اتفق عليه علماء أهل السنة هو التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، والعمل بحسب ذلك بالجوارح .

والاختلاف في هذه القضية يدور حول جواز نقصان الشطر الأول مما يجمعه مدلول لفظة « الايمان » أي التصديق ، فبعض العلماء يرفضون هذا ، إذ يرون ان التصديق بالقلب إذا عرض له النقصان اختل الاعتقاد جملة ، واختلال الاعتقاد يفضي الى نقيض الايمان وهو الكفر ، لأن الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة تفضي إلى يقين ، وهو مما لا تميل به الاحوال التي تعتري الانسان مهما كان أثرها ، ويشارك التصديق بالقلب ـ في بعض هذا ـ الإقرار باللسان لأنه مظهر للتصديق بالقلب ، فهو إما إقرار يصدق به الإيمان ، وإما إنكار يشهد بالكفر ، ومن هنا كان يجب أن تتجه بمعنى الزيادة التي تعرو الايمان في الآيات السابقه إلى أنه أريد بها التثبيت وليست الزيادة التي هي نقيض النقصان ، فهو من قبيل تقوية القلب وتثبيته على يقين موجود أصلا لا تعرض له زيادة أو نقصان ، أما الذي يمكن أن يزيد أو ينقص فهو الشطر الأخير مما ابتنى عليه الحد التشريعي للإيمان أي العمل ، لأن الاكثار منه والإيغال فيه يؤدي لامشاحة إلى تثبيت ما يسبقه وجوداً من يقين يقوم على التصديق والاقرار لأنه يمثل الواقع الفعلي لما قام عليه ، كما أن التقصير فيه يجعل الريبة تتردد في حنايا النفس وتدق أعمدة التصديق ولكنها لا تنقصه شيئاً[١٠٤]

أما الرأى المخالف لابن حزم فيورده العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز[١٠٥] حيث يقول : إنه كثيراً ما ورد في القرآن التعبير بزيادة الإيمان ، وكل شيء يقبل الزيادة يقبل

النقصان ، فإلى أي المعنيين للايمان تنصرف الزيادة والنقص ؛ أتلى نفس التصديق أم إلى المجموع الذي عرفناه ؟

والجواب أنه بكلا معنييه قابل للزيادة والنقصان ، لكن النقصان إلى حد معين يقف عنده ، وهو أن يكون إنتقاصاً من الزيادة لا من الأصل ، فإذا جاوز ذلك لم يسمى نقصاناً ، بل يسمى ذهاباً ومحقاً وبطلانا .

أما الايمان بالمعنى الجامع فأمر الزيادة والنقصان فيه ظاهر ، لأنه كلما ازداد جزؤه العملى ازداد مجموعه نمواً حتى إذا استكمل فرائضه ونوافله ولم تشبه شائبة الانحراف عن حدوده سمى إيماناً كاملاً . .

وإنما الكلام في الايمان - بمعنى التصديق واليقين نفسه - فالمشهور عند العلماء أن التصديق نفسه لا يزيد ولا ينقص ؛ والصواب أن التصديق نفسه تعرض له الزيادة والنقص من جهات ثلاث : -

الأول : تفاوته من جهة وسيلته : وهي الأدلة وبيانه ان النفس الانسانية في تأثرها بالمعاني المختلفة مثلها مثل الاجسام الصلبة في انفعالها بالحفر والنقر ، فكلما كانت آلة الحفر حادة وكانت ضربات الحفار متكررة كان الأثر أشد غوراً . . ، كذلك كلما كان الدليل الذي يثبت المعلوم في النفس أوضح حجة وأقرب إلى البديهة وأبعد عن الشبهة ، وكلما تكاثرت الشواهد والبراهين التي تؤيد هذا المعلوم وتمده كان أشد رسوخاً في النفس وأعمق أثراً في القلب فلا تزلزله الشبهات ولا تمحوه العوارض والفتن ، وبعد ذلك يكون الأثر سحطياً ضعيفاً قابلاً للمحو بسرعة أو بطء على حسب عمقه وغوره .

فإذا كان عندكم عجيباً أن تتفاوت درجات اليقين مع بقاء اسم اليقين فيه . وظننتم أن اليقين إذا نقض صار ظناً أو شكاً أو ما دون ذلك ، فانظروا إلى قضية وصل اليكم علمها عن طريق الاخبار المتواتره ، ثم عن طريق المشاهده ، وقارنوا بين أنفسكم بين درجة العلم في الحالين . . ، هل من يعلم وهو لم ير يستوى مع من رأى رأي العين ؟ وكيف يستوجب هل

يكون الخبر كالعيان ؟ . . ، بل العيان نفسه يختلف ، فليس العيان الذي يقع مرة ثم تلحقه غيبة عن الشيء المعاين كالعيان الذي يتكرر كل يوم ، فإن هذا أبعد عن عروض الشبه ومعان الأوهام .

الثاني : تفاوته من جهة متعلقه : وهي القضايا المصدق بها ، وبيانه أن هذه القضايا تؤخذ بطريق إجمالي لا إطلاع معه على شيء من تفاصيلها ، وقد ينضم اليها شيء من تلك التفاصيل قليل أو كثير ، فمن اعتقد مثلا صدق الرسول وأمانته لشهادة المعجزة بذلك وبدون أن يقف على تفاصيل الدين الذي جاء به حكم بصدقه فيه على الجمله ، ليس كمن حكم بصدقه وهو واقف عليه جملة وتفصيلا فالعلم الاجمالى علم بمعلوم واحد ، والعلم التفصيلى علم بمعلومات كثيرة ، وكلما زاد الاطلاع على التفاصيل كان أفق العلم أوسع ، وكان اشراقه أعلى وأعم .

لا تقولوا إن هذه المعلومات الكثيرة متى كانت داخله في موضوع ذلك الأمر الاجمالى صارت معلومة لعلمه سواء اطلع عليها أو لم يطلع عليها ؛ لأن هناك فرقاً شاسعاً بين حصول الشيء في النفس قصداً وحصوله ضمناً وتبعاً ، ولأن هناك فرقاً بين حصول الشيء بالقوة وحصوله بالفعل . . . . ، فهل من يعرف القاعدة مجردة كمن يعرفها بمثالها ؟ ومن يعرفها بمثال واحد كمن يعرف لها أمثلة عده ؟ .

جملة القول ان الاطلاع على التفاصيل إن لم يكن مما يزيد العلم في نفسه قوة فإنه يعطى كثرة ، لأنه يكثر معلوماته ، وإذا كثرت معلوماته كثرت تعلقاته بقدر تلك المعلومات ، وإذا كثرت تعلقاته كثر هو أيضاً لأن العلم المتصل بجزئية مّا غير العلم المتصل بجزئية أخرى فههنا زيادة على كل تقدير ، إذ لم تكن زيادة في الكيفية فهي زيادة في الكميه .

هذا كله لو كانت التفاصيل والجزئيات سواء في انتسابها لكليها بحيث يكفي دليل الكلى للاقناع بها ، وتكون الحاجة إلى ذلك الدليل ، ولكن قد يبلغ بعض الجزئيات مرتبة من الجلاء بحيث تصلح هى شاهداً آخر على صحة كليها ، ويصل بعضها من الخفاء الى حيث يكفى ذلك العلم الاجمالى في تحصيل اليقين بها ، بل إنها تعارضه بحسب الظاهر ، فهذان النوعان يحصل بالاطلاع عليهما فرق جوهرى في نفس العلم ؛ والواقع أن هذين النوعين موجودان في

موضوعنا بوضوح .

فهناك نوع من المعلومات الدينية يحمل في نفسه شاهد صدقه ، وصدق تلك الكلية الدينية التي هو داخل فيها . . ، فإنكم إذا قرأتم القرآن الكريم بتدبر تجدون هذه الامثلة بأنفسكم في طابع من الأحكام العادلة الحكيمة التي لا يسع نفساً مؤمنة ولا كافرة إلا الاعتراف بعدالتها وحكمتها وطائفة من الأخبار الصادقة التي قد وقع بالفعل كما أخبر . . . ، فهذا النوع يعطينا زيادة في الايمان مما تعطيه كثرة الشواهد والأدلة على المعلوم الواحد كما بيناه في الجهة الأولى بل هي أجدى على الإيمان وأدنى إلى إحياء اليقين في القلوب من أدلة المتكلمين مجتمعة .

وفي مقابل ذلك النوع نوع آخر هو في الظاهر يعد نقضاً لتلك الكلية وشاهداً عليها لا لها كتلك المشكلات والمتشابهات التي لا يظهر وجهها لائحاً كالشمس ، فتنفتح منها أبواب من الفتن لبعض العقول ، وربما شوشت عليها عقيدتها الاجمالية ، فرب مؤمن بصدق الرسول أو حكمته على الجملة لو اطلع على شيء من قوله أو فعله انكره أو توقف فيه قبل أن يقف على تأويله ، فيقول : لعلي كنت مخدوعاً في أمره ، ورب آخر لا يلمس في ذلك الشكل شيئاً من خشونة الشبهة ، ولا يجد في صدره حرجاً منه بل لا تزيده التجارب إلا تأييداً وتأكيداً ليقينه الأول فيه .

ففي هذا النوع من التفاصيل تختبر قوة الايمان وثباته ، وفيه تفاضل درجات الإيمان ، فهذا الذي يقف عند الجزئيات المختلفة من الجلاء والخفاء ، ويستوى المحكم منها والمتشابه في درجة واحدة عنده من الثقة والاطمئنان أتم إيمانا من ذلك الذي يتوقف لحظة في قبول ما لا يبدى وجهه للعقول ثم يذعن بعد ذلك ، وكلاهما أقوى ايمانا من ثالث لو امتحنت نفسه أمام هذه المشكلات واصطدمت عقيدته بهذه المتشابهات لم تلبث أن تنهار .

ومن هذه الجهة تعرفون أن إيمان الصحابة كان أقوى من إيماننا لأنهم شاهدوا من هذين النوعين ما لم نشاهد . . . ، فلما عرضت لهم تلك العقبات الصارخة عبروها ونجوا ، أما نحن فما يدرينا لعل أحدنا لو شهد أول مرة ما شهدوا من مضايق الأفهام ومزال الأقدام لربما

كانت له حال غير هذه الحال ، فنحن بالنسبة إليهم كالعوام بالنسبة إلى العلماء ، بل إن من يطالع كتب السنة يرى أن الصحابة أنفسهم يتفاوتون في هذا الباب تفاوتاً بعيداً ، وأن الذي كان أسبقهم دائماً إلى الإيمان والتصديق هو أبو بكر رضى الله عنه . . ، ومن أجل ذلك سمي الصديق .

الثالث : تفاوته من طريق ثمرته : وهي العمل وبيانه أن الفكرة النظرية التي تأخذ آثارها العملية تبقى ماثلة في الوجدان لا تزاحمها الاضداد ولا يطغى عليها النسيان لأنها حاضرة غالباً في مركز الفكر فهى تستمد من العمل بها قوة وثباتاً واشراقاً حتى تصبح للنفس ملكه وخلقاً ، وكذلك يستمد منها العمل سهولة ويسرا عند العوده اليها مرة أخرى ، وهكذا كلما تكرر العمل بمقتضى تلك الفكرة ازدادت قوة في نفسها واستعداداً لانتاج أمثاله من الأعمال بدون تكلف ، وازداد العمل لصوقاً بالنفس حتى يكون انتزاعه ومفارقته أشبه بانتزاع الغرائز ، ولذلك قيل : العادة طبيعة ثانية ، وبعكس ذلك من كثر تهاونه بتطبيق العلم على العمل نقص من قوة علمه وثبات عقيدته بمقدار تهاونه بالعمل وتضييعه له .

فكذلك نقول : إن من اعتاد طاعة الله تعالى ازداد ايمانه ، ومن كثرت مخالفته لأوامر الله ضعف يقينه الى حد ما ، فإن هو اعتاد ذلك لم يؤمن ثباته على الايمان ، نعم المرآة قد تصدأ وتنجلي ، ولكنها إذا ما تراكم عليها الصدأ ولم تعالج بالجلاء آناً بعد آن لم تلبث أن يأكل الصدأ منها ذلك العنصر المضيء فيها ، والمعاصى - لو تعلمون - هى الصدأ الذى يغشى وجه الايمان ، وجلاؤها هو التوبة-والعمل الصالح ، فمن تركها بغير جلاء لم يأمن العاقبة في دينه . .

وقد اختلفت الفرق الاسلامية في حد الايمان أيما اختلاف ، فمنها من ذهب إلى ان الايمان هو فعل العقل فقط ، وهؤلاء اختلفوا على قولين ، **أحدهما** : أنه تصديق خاص ، وهو التصديق بالقلب للرسول صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به ضرورة من عند الله تعالى ، فمن صدق بوحدة الله بالدليل ، ولم يصدق بأنه مما علم به مجيء الرسول من عند الله لم يكن هذا التصديق منه إيماناً ثم ما لوحظ اجمالاً كالملائكة والكتب والرسل كفى الإيمان به اجمالاً ،

وما لوحظ تفصيلاً كجبريل والانجيل اشترط الايمان به تفصيلاً ، فمن لم يصدق بمعين من ذلك فهو كافر ، ثم التقيد بالصدق لاخراج ما لا يعلم بالضرورة كالاجتهادات فإن منكرها ليس بكافر ، وعدم تقييد التصديق بالدليل لاشتمال اعتقاد المقلد فإن ايمانه صحيح عند الأكثر ؛ والتصديق اللغوي هو اليقين ، فالظني ليس بكافٍ في الايمان ، وهذا مذهب الجمهور لأن الايمان عندهم هو التصديق الجازم الثابت .

ولكن الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض فحكمه حكم اليقين في كونه إيمانا حقيقة فإن إيمان اكثر العوام من هذا القبيل[١٠٦] واطفال المؤمنين وإن لم يكن لهم تصديق لكنهم مصدقون حكما لما علم من الدين بالضرورة أنه عليه الصلاة والسلام كان يجعل ايمان أحد الأبوين إيمانا للاولاد .

والكفر في مثل هذه الصورة ، أي في الصورة التي يكون فيها التصديق مقروناً بشيء من امارات التكذيب في الظاهر في حق اجراء احكام الدنيا لا فيما بينه وبين الله تعالى ، وهذا مذهب الاشاعره والماتريديه .

ثانيهما : أن الايمان هو معرفة الله تعالى مع توحيده بالقلب والاقرار باللسان ليس بركن فيه ولا شرط حتى ان من عرف الله تعالى بقلبه ، ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقربه فهو مؤمن كامل الايمان أما معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر فزعم جهم بن صفوان[١٠٧] أنها داخلة في حد الايمان ، وهو مخالف للصواب لتعارضه مع ظاهر الحديث : « بني الاسلام على خمس » .

والجهمية أصحابه انقسموا فريقين ؛ فريق يقول : إن الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وفريق يقول : إنه الإيمان بالله تعالى وما جاءت به الرسل إجمالاً .

ومن الفرق الاسلامية من تقول بأن الايمان هو اقرار باللسان فقط وهؤلاء فريقان : -

الأول : يقول إن الايمان هو إقرار باللسان فقط ولكن شرط في كونه إيماناً حصول المعرفة بالقلب فالمعرفة شرط لكون الاقرار اللسانى إيماناً ، لا انها داخلة في مسمى الايمان ، وهذا

قول غيلان الدمشقى الذى ذهب إلى القول بنفي القدر وبالغ في ذلك حتى هم خامس الراشدين بقتله لولا تراجعه وتوبته ، ولكنه عاد واسرف فصلبه هشام بن عبد الملك بباب دمشق[١٠٨] .

الثاني : ان الايمان مجرد الاقرار باللسان وهو قول الكرامية[١٠٩] ، وقد زعموا أن المنافق مؤمن في الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة .

ومن الفرق الاسلامية من قالت : إن الايمان عمل القلب واللسان معاً ، أي في الايمان الاستدلالى دون الذي بين العبد وربه ، وقد اختلف اتباعها على أقوال : -

الأول : أنه إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وعامة الفقهاء وبعض المتكلمين .

الثاني : انه تصديق بالقلب واللسان معاً وهو قول أبي الحسن الأشعري وبشر المريسى ، فعلى هذا المذهب من صدق بقلبه ولم يتفق له الاقرار باللسان فى عمره مرة لا يكون مؤمناً عند الله تعالى ولا يستحق دخول الجنة ، ولا النجاة من الخلود في النار ، بخلاف ما إذا جعل اسماً للتصديق فقط فالاقرار حينئذ لاجراء الأحكام عليه فقط كما هو مذهب أبي حنيفة ، والمذهب الأخير موافق للحديث « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان »[١١٠]

الثالث : أن الايمان إقرار باللسان واخلاص بالقلب ، ثم ان المعرفة - على قول أبي حنيفة - مفسرة بشيئين « أ » الاعتقاد الجازم سواء كان استدلالياً أو تقليدياً ، ولذا حكموا بصحة إيمان المقلد وهو الأصح «ب» العلم الحاصل باالدليل ، ولذا زعموا أن الاصح أن إيمان المقلد غير صحيح .

ومن الفرق الاسلامية من قالت : إن الايمان فعل بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، وهـم أصحاب الحديث ومالك والشافعى والأوزاعى ، أما أصحاب الحديث فلهم أقوال ثلاثة : -

الأول : أن المعرفة إيمان كامل وهو الأصل ، ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حده ، وزعموا أن الجحود وانكار القلب كفر ، ثم كل معصية بعده كفر على حده ، ولم يجعلوا شيئاً من

الطاعات ما لم توجد المعرفة ، والاقرار باللسان إيماناً ، ولا شيئاً من المعاصى كفراً ما لم يوجد الحجود والانكار ، لأن أصل الطاعات الإيمان ، وأصل المعاصى الكفر ، والفرع لا يحمل بدون ما هو أصله وهذا قول عبد الله بن سعد .

الثاني : أن الايمان اسم للطاعات كلها فرائضها ونوافلها ، وهى بجملتها ايمان واحد ، وأن من ترك شيئا من الفرائض فقد انتقض إيمانه ، ومن ترك النوافل لم ينتقض إيمانه .

الثالث : أن الايمان اسم للفرائض دون النوافل .

الرابع : وهو قول المعتز له فقد اتفقوا على أن الايمان إذا عدى بالباء فالمقصود به في الشرع التصديق يقال : آمن بالله تعالى أي صدق ، إن الايمان بمعنى آداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعديه فلا يقال : فلان آمن بكذا إذا صلى أو صام ؛ فالايمان المتعدى بالباء يجرى على طريق اللغة وإذا أطلق غير معدى فقد اتفقوا على أنه منقول نقلاً ثانياً من التصديق إلى معنى آخر ، ثم اختلفوا فيه على وجوه : -

« أ » ان الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الاعتقاد أو الأقوال أو الافعال ، وهذا قول واصل بن عطاء ، وأبي الهذيل العلاف ، والقاضي عبد الجبار .

« ب » أن الايمان عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وهو قول أبي على الجبائي وأبي هاشم .

« جـ » أنه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد وهو قول النظام وأصحابه ، ومن قال هذا شرط كونه مؤمناً عندنا وعند الله تعالى ، وشرط اجتنابه الكبائر .

أما الخوارج فقد اتفقوا على أن الايمان بالله يتناول معرفة الله تعالى ، ومعرفة كل ما نصب الله تعالى عليه دليلاً عقلياً أو نقلياً ، ويتناول طاعة الله في كل ما أمر به ونهى عنه صغيراً كان أو كبيرا وأن مجموع هذه الأشياء هو الايمان .

ويقرب بين هذه المذاهب جميعاً أن الايمان تصديق بالجنان ، واقرار باللسان ، وعمل بالأركان إلا أن بين هذه الاتجاهات فرقاً هو : ان ترك شيء من الطاعات فعلاً كان أو قولاً

خروج من الايمان عند المعتزله ، ولكنه ليس دخولاً في الكفر ، بل يقع في مرتبة بينهما يسمونها المنزلة بين المنزلتين وعند الخوارج دخول في الكفر لأن ترك كل واحدة من الطاعات كفر ؛ وعند السلف من ترك شيئا من هذا لم يخرج من الايمان لبقاء أصل الايمان فيه الذي هو التصديق بالجنان .

والايمان قد جاء في كلام الشارع بمعنى أصل الايمان ، وهو الذي لا يعتبر فيه كونه مقرونا بالعمل كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالبعث ، والاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة . . الحديث » .

وقد جاء بمعنى الايمان الكامل المقرون بالعمل وهو المقصود بالايمان المنفي في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . . الحديث » وكذا كل موضع جاء بمثله ؛ فالخلاف في المسألة لفظي ، وأنه في أي المعنيين منقول شرعي ، وفي أيهما مجاز ، ولا خلاف في المعني ، فإن الايمان المنجى من دخول النار هو الثاني باتفاق ، والايمان المنجي من الخلود في النار هو الأول باتفاق أهل السنة خلافاً للمعتزلة والخوارج [١١١] .

تم بحمد الله وتوفيقه ، ، ،

الاحالات والمراجع

رقم مسلسل	الاحالة او المرجـــع
١	انظر مادة « امن » في لسان العرب لابن منظور .
٢	الآية ١٢ من سورة التوبة .
٣	انظر مادة « امن » فى صحاح اللغة للجوهرى .
٤	انظر مادة « امن » في لسان العرب لابن منظور .
٥	الآية ١٧ من سورة يوسف .
٦	الآية ١٤ من سورة الحجرات .
٧	خرجه الامام مسلم فى صحيحه .
٨	الآية ١٥ من سورة الحجرات .
٩	انظر مادة « امن » فى لسان العرب لابن منظور .
١٠	الآية ٩٤ من سورة الأنبياء .
١١	الآية ٩٦ من سورة المائدة .
١٢	الآية ١٠٦ من سورة يوسف .
١٣	انظر القرآن المفسر الميسر « مختصر الطبرى » ط . اذاعة القرآن الكريم ليبيا .
١٤	الآية ١٩ من سورة الحديد .
١٥	انظر انوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص ٧١٧ط دار الفكر القاهرة ١٤٠٢هـ .

١٦ الآية ١٤٣ من سورة البقرة .
١٧ خرجه الامام البخارى في باب الايمان حـ ١ ص ٨ ط الشعب القاهرة ١٣٧٨هـ .
١٨ خرجه الامام مسلم فى صحيحه حـ ١ ص ٤٦ ط كتاب التحرير القاهرة ١٣٨٣هـ .
١٩ انظر دائرة المعارف الإسلامية المجلد ٣ العدد ٢٤ ص ٥٤٠ مادة « اعتقاد » .
٢٠ انظر مفردات القرآن للراغب مادة « عقد » ، مادة « عقد » فى مختار الصحاح للرازى .
٢١ الآية ٥١ من سورة النساء .
٢٢ الآية ١٠٦ من سورة النحل .
٢٣ خرجه الخمسة إلا البخاري عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما .
٢٤ انظر احياء علوم الدين للغزالى حـ ١ ص ٩٣ ط العثمانية القاهرة ١٩٣٣م .
٢٥ انظر مادة « ايمان » بالمجلد ٥ من دائرة المعارف الاسلامية العدد ٣٨ ص ٤١٣ فما بعدها
٢٦ الآية ٤٨ من سورة غافر .
٢٧ الآية ١٨ من سورة السجده .
٢٨ الآية ١٤ من سورة الحجرات .
٢٩ الآية ١٣٢ من سورة البقرة .
٣٠ الآية ٨٥ من سورة آل عمران .
٣١ انظر مبحث الايمان والاسلام فى كتاب المختار من كنوز السنه للدكتور دراز ص ٩١ فما بعدها
٣٢ الآية ١٠٨ من سورة البقرة .
٣٣ الآية ٩٣ من سورة الاسراء .
٣٤ انظر انوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص ٧٣ .
٣٥ انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه حـ ١ ص ٣٨٨ . ط المجلس الاعلى . القاهرة .
٣٦ انظر صفوة التفاسير للصابونى حـ ١ ص ٨٦ ط دار القرآن الكريم بيروت .
٣٧ الآية ١٦٧ من سورة آل عمران .
٣٨ انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ص ١٥٠٨ فما بعدها ط . الشعب ، تفسير القرآن

العظيم لابن كثير المجلد ٣ ص

٣٩ الآية ١٥ من سورة الحجرات .

٤٠ انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا حـ ٣ ص ١٨٧ فما بعدها ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤١ خرجه البخاري في صحيحه حـ ١ ص ١٥ - ١٦ ط . الشعب .

٤٢ الآية ١٧٧ من سورة آل عمران .

٤٣ الآية ١٧٦ من سورة آل عمران .

٤٤ انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا حـ ٤ ص ٢٠٤ .

٤٥ الآية ١٩٣ من سورة آل عمران .

٤٦ انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا حـ ٤ ص٢٤٨، صفوة التفاسير للصابونى حـ١ ص٢٥٢

٤٧ الآية ٥ من سورة المائدة .

٤٨ انظر صفوة التفاسير للصابونى حـ ١ ص ٣٢٩ .

٤٩ الآية ٢٣ من سورة التوبه .

٥٠ انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا حـ ١٠ ص ٢٠١ .

٥١ الآية ١٠٦ من سورة النحل .

٥٢ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد الخامس ص ٣٧٩٦ .

٥٣ الآية ٥٦ من سورة الروم .

٥٤ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٦ ص ٥١٣٠ ، انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوى ص ٤٢

٥٥ الآية ١٠ من سورة غافر .

٥٦ انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى حـ ٣ ص ٢٣٧ .

٥٧ الآية ٥٢ من سورة الشورى .

٥٨ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد ٧ ص ٥٨٧٩ .

٥٩ الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الحجرات .

٦٠ انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى حـ ٣ ص ٣٦١ فما بعدها .
٦١ الآية ١١ من سورة الحجرات .
٦٢ انظر انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوى ص ٦٨٤ .
٦٣ الآية ١٤ من سورة الحجرات .
٦٤ انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى حـ ٣ ص ٣٦٩ .
٦٥ الآية ٢٢ من سورة الحجرات .
٦٦ انظر صفوة التفاسير للصابونى حـ ٣ ص ٢٣٨ .
٦٧ الآية ٢٢ من سورة المجادلة .
٦٨ انظر جامع البيان للطبرى حـ ٢٩ ص ٢٧٦ فما بعدها ، البحر المحيط لابى حيان الاندلسى حـ ٨ ص ٢٣٩ .
٦٩ الآية ٩ من سورة الحشر .
٧٠ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٨ ص ٦٤٩٩ .
٧١ انظر لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن حـ ٤ ص ٦٢ .
٧٢ الآية ١٠ من سورة الحشر .
٧٣ انظر ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابى السعود حـ ٥ ص ١٥٢ .
٧٤ انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى حـ ٣ ص ٤٧٥ .
٧٥ انظر حاشية زاده على انوار التنزيل للبيضاوى حـ ٣ ص ٤٧٧ .
٧٦ الآية ٢١ من سورة الطور .
٧٧ انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي مجلد ٨ ص ٦٢٣٦ .
٧٨ انظر الكشاف للزمخشرى حـ ٤ ص ٢٧٢ . ط دار المعرفة بيروت .
٧٩ انظر البحر المحيط لابى حيان حـ ٨ ص ٣٦٠ .
٨٠ انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي مجلد ٨ ص ٦٢٣٧ .
٨١ انظر تفسير الآية ١٠٨ من سورة البقرة .
٨٢ انظر تفسير الآيتين ١٦٧ ، ١٧٧ من سورة آل عمران .

٨٣ انظر تفسير الآية ٩٣ من سورة آل عمران .

٨٤ انظر تفسير الآية ٥ من سورة المائدة .

٨٥ انظر تفسير الآية ٥٦ من سورة الروم .

٨٦ انظر تفسير الآيات ١٠٦ من النحل ، ٥٢ من سورة الشورى ، ٧ من سورة الحجرات .

٨٧ انظر تفسير الآيات ١٠ من سورة غافر ، ١٤ من سورة الحجرات ، ٢٢ من سورة الحجرات

٨٨ انظر تفسير الآيات ١١ من سورة الحجرات ، ٢٢ من سورة المجادلة .

٨٩ انظر تفسير الآيتين ٩ ، ١٠ من سورة الحشر .

٩٠ انظر تفسير الآية ٢١ من سورة الطور .

٩١ انظر تفسير الآية ١٧٣ من سورة آل عمران .

٩٢ انظر تفسير الآية ٢ من سورة الانفال .

٩٣ انظر البحر المحيط لابى حيان حـ ٤ ص ٤٥٧ .

٩٤ الآية ١٢٤ من سورة التوبة .

٩٥ الآية ٢٢ من سورة الاحزاب .

٩٦ الآية ٤ من سورة الفتح .

٩٧ انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى حـ ٣ ص ٣٤١ .

٩٨ الآية ٣١ من سورة المدثر .

٩٩ انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي مجلد ٩ ص ٦٨٧٢ .

١٠٠ انظر جامع البيان للطبري حـ ٢٩ ص ١٠١ .

١٠١ انظر الكشاف للزمخشري حـ ٤ ص ١٨٥ .

١٠٢ انظر جامع البيان للطبرى حـ ٣٠ ص ٢٠٦ .

١٠٣ الآية ٢٧ من سورة ص .

١٠٤ انظر الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ص ١٠٨ فمابعدها ط . مكتبة السلام العالميـــة القاهـــرة .

١٠٥ انظر البحث الثالث للتعريف بالايمان والاسلام فى كتاب المختار من كنوز السنة ص ٩٥ فما

بعدها ط . قطر .

١٠٦ انظر المواقف في علم الكلام لعضد الدين الايجي ط مكتبة المتنبي ص ٣٨٤ فما بعدها القاهرة .

١٠٧ انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٩٩ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت .

١٠٨ انظر الملل والنحل للشهرستانى حـ ١ ص ٤٧ دار المعرفة بيروت تحقيق محمد سيد الكيلانى ١٣٩٥هـ .

١٠٩ اتباع محمد بن كرام بخراسان وهم من المجسمه انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٣

١١٠ انظر حاشية السيالكوتى على الخيالى للمولوى عبد الحكيم ص ٤٢٧ فما بعدها .

١١١ انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص ١٣٤ فما بعدها ط . المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر ١٣٨٢هـ .